



يوسف وامرأة العزيز

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ.

صدق الله العظيم

٧

من قصص القرآن


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

شمس الهدى والإيمان

من قصص القرآن

يوسف وامرأة العزيز

اعداد: عبد الرؤوف دقاق
نهاد حناوي
مراجعة: محمد كمال

مقدمة

كان لنبي الله «يعقوب» اثنا عشر ولداً، وكان أحبَّهم إليه وأقربَهُم إلى نفسه وقلبه «يوسف»...

ويقص علينا القرآن الكريم أن يوسف رأى في منامه أحد عشر كوكباً والشمس والقمر قد سجدوا له خاضعين .

ونقرأ ذلك في قوله تعالى :

(إذْ قَالَ يُوسُفُ لأبيهِ ياأَبَتِ إنِّي رَأيْتُ أحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً والشَّمسَ والقَمرَ رَأيْتُهُمْ لِي سَاجِدِين)[1]

(١) سورة يوسف ـ الآية (٤) .

فأدرك «يعقوب» بعد أن قص له ابنه قصة المنام، أن ابنه سيكون له شأن عند الله والناس، لكنه خشي عليه من حسد إخوته، فأوصاه أن لايرويَ على إخوته رؤياه هذه... وبَيَّنَ له، أنه سيكون في مستقبل أيامه سيداً مطاعاً، وأن الله سيصطفيه بالنبوة...

ونقرأ قوله في هذه الآية من قوله تعالى:

(قالَ يـابُنَيَّ لاتَقْصُصْ رُؤيَاكَ عَلى إخـوَتِكَ فَيَكِيـدُوا لكَ كَيْداً، إنَّ الشَّيْطانَ للإنْسَانِ عَـدُوٌّ مُبيـنٌ*)[1]

إلا أن إخوة «يوسف» رأوا كيف أن والدهم «يعقوب» يخص يوسف بالمحبة الأعظم، فدخل الحسد قلوبهم وأخذت الغيرة تنهش نفوسهم نهشاً، وهم يرون أخاهم «يوسف» هو المحبوب وهو الأجمل والأذكى...

أضمر الإخوة السوء لأخيهم يوسف وأخذوا يترقبون الفرصة السانحة والوقت الملائم ليتخلصوا منه على حدِّ زعمهم، فعندئذ سيستأثرون بحب والدهم من

(١) سورة يوسف - الآية (٥) .

المنافسة ثم يتوبون عن عملهم المشين[1] وجريمتهم النكراء، ويكونون قوماً صالحين، فيقبل الله توبتهم، ويقبل والدهم ندمهم.. وكان أن ألقوه في الجب... لكن رحمة الله، قد اقتربت منه...

وعندما عاد الإخوة إلى أبيهم مساءً، استفسر منهم عن أخيهم «يوسف» فأخذوا يبكون أو يتظاهرون بالبكاء، ولكن يعقوب ساوره الشك بالقصة التي لفقوها له، وهي أن يوسف قد أكله الذئب...

قال تعالى في القرآن الكريم:

(فَلَمَّا ذَهبُوا وأَجْمَعُوا أن يَجْعَلُوهُ في غَيَابَةِ الجُبِّ، وأوحَيْنَا إليهِ لتُنَبِّئَنَّهُمْ بأمرِهِمْ هذا، وهُمْ لايَشْعُرُونَ * وجَاؤوا أبَاهُمْ عِشاءً يَبكون * قَالُوا: ياأبانا إنَّا ذهَبْنَا نَسْتَبِقُ وترَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتاعِنَا فأكَلَهُ الذئبُ، وما أنتَ بمُؤمِنٍ لنا ولو كنَّا صَادِقين * وجاؤوا على قميصِهِ بدمٍ كذبٍ، قالَ: بَلْ

(١) المشين: القبيح جداً

سَوَّلَتْ لكُمْ أنفُسُكمْ أمراً فصبرٌ جميلٌ، واللهُ المُسْتَعَانُ على ماتَصِفُونَ *)[1]

ومرت أمام البئر قافلة قاصدة مصر فانتشلوه من الجب سالماً، وراعهم أن هذا الغلام «يوسف» كأنه القمر في جماله واستدارته.. وقرر القوم أن يأخذوه معهم ويبيعوه في مصر، وهناك باعوه في السوق، وهو النبي الكريم، والحر الأبي، بدراهم بخسة.

يقول الله تعالى في ذلك:

(..وَشَرَوْهُ بِثَمنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وكَانُوا فيه مِنَ الزَّاهِدِيْن*)[2]

يوسف وامرأة العزيز

وكان الذي اشترى «يوسف» وزيرَ ملك مصر، وهو رئيس الشرطة آنئذ، فأكرمه الوزير إكراماً كثيراً، ورأى على وجهه الخير والسعادة والبركة، ووضع الوزير

(١) سورة يوسف ـ الآيات (١٥ ـ ١٨) .

(٢) سورة يوسف ـ الآية (٢٠) .

تحت تصرف «يوسف» كل أملاكه وأمواله، وقال الوزير لزوجته:

- هذا غلام يُخيل إليَّ من ملامحه وهدوء طبعه أنه نبيل الفطرة عالي الأخلاق، كريم النسب، شريف المنبت... فأكرمي مثواه ومدي له أيادي الرعاية والعطف والحنان... وأحذرك من معاملته معاملة العبيد، وإياك أن تزجريه زجر[1] الخدم، أو تهينيه أو تجرحي مشاعِره وأحاسيسهُ فإنني لأرجو إذا شبَّ[2] عن الطوق وبلغ مرحلة النضج أن ينفعنا أو نتخذه ولداً لنا.

ولكن ماأن انتهى «يوسف» من محنة الجب، حتى أخذت محنة أخرى تحوم حوله من بعيد، بالرغم من الثراء والترف الذي كان يعيش فيه ...

مرت الأيام ويوسف يعمل في القصر، فازداد الوزير به تعلقاً وذلك لما لمس من يوسف الأمانة والصدق والاستقامة...، ووضعه موضع الأشراف الأحرار،

---

(١) الزجر : النهي والمنع .

(٢) شب عن الطوق : بلغ سن اليفاعة .

مما أسبغ على يوسف المكانة اللائقة التي يستحقها وأخذ الناس يشيرون إليه بالبنان[1].. وكان حديث الناس في كل مجلس وفي كل زاوية... إنه حديث المحبة والامتنان والتقدير ...

بلغ «يوسف» ربيع الشباب، وربيع الحياة، فكان كالقمر المنير جمالاً، وكالأنبياء خلقاً وحكمةً ونبلاً ونقاءً ...

رأت امرأة العزيز «يوسف» فخفق قلبها وأضرمت[2] مشاعرها، فَسَوَّلَتْ لها نفسها الاقتراب منه وهي الأنثى ذات الحسن والجمال، وكان زوجها قد تقدمت به السن وضعفت قواه، وعَلَتِ التجاعيد وجهه، والشحوب ملامح طلعته... فلبثت مدةً تترقب وتترصد يوسف من جهة، وتتردد بينها وبين نفسها لتختبر نفسها وتتأكد من صدق مشاعرها... إلى أن غلب الحب عقلها وباتت أسيرة عواطفها الملتهبة ومشاعرها الحارة.

(١) البنان : رؤوس الأصابع .

(٢) أضرم : التهب اشتعل .

فكانت ترقبه في غُدوّه ورواحه، وتلحظه في ذهابه وإيابه[1]، وتتأمله في صمته وحديثه، وفي مأكله ومشربه وبدت لها محاسنه الخفية، وحيويته القوية، وشعرت بأنه قد ملك قلبها واستحوذ على عواطفها بالكامل.

قررت امرأة العزيز إغراء يوسف، ولكن كيف السبيل؟ وهي امرأة العزيز ومقامها في القصر كبير، ومكانتها من مكانة زوجها، فعادت إلى صوابها، وأزاحت الوسوسة في محبة يوسف، عن خاطرها، وعرفت مخاطر الخيانة الزوجية ونتائجها ...

ومرةً.. كانت جالسة في قصرها وهي في أحلى زينة وأبهى حُلَّة، ترتدي الثياب الحريرية المطرزة، وتتعطر بماء الورد والياسمين، وانتهزت فرصة وجود يوسف على مقربة منها، فأخذت تغريه بمفاتنها وبجمالها... فعرضت عليه، بإيماءاتها[2] وحركاتها، ليبادلها الحب، فأغلقت الأبواب وأرخت الستائر. ثم قالت له:

---

(١) الإياب : العودة .

(٢) إيماءة : إشارة .

أقبل علي، فقد هيأت لك نفسي!! لكن يوسف نفر منها وأعرض عنها، وغضَّ بصره عن محاسنها ورونق[١] جمالها... وما كان ليوسف وهو الكريم ابن الكريم أن ينساق[٢] لإغراءاتها وينقاد لمفاتنها، ويصبح أسير لحاظها[٣] ورهن إشارتها.. فبادرها بقوله :

إني ألجأ إلى الله ليحميني من الإثم، وكيف أخون زوجك الذي أكرمني وجعلني أعيش عيشة الملوك، وأنعم بالغنى والترف والسعادة.. إن الذين يقابلون المعروف بالإساءة والإحسانَ بالجحود لايفوزون إلا بالخزي والعار...

ولكن زوجة العزيز، قد أعماها الهوى، وشل تفكيرها، فلم تعد ترى أية جوانب أخرى في الوضع الذي هي فيه، إنها لم تعد تفكر إلا بِغَرَائِزِها ونَزَوَاتِهَا[٤] وكادت تنجح في تحقيق هدفها وتبلغ غايتها... لولا

(١) رونق : النضارة والبهاء .
(٢) [illegible]اق : ينقاد .
(٣) [illegible] .
(٤) [illegible] : ميل .

أن الله قد أنار قلب يوسف، وامتنع عن المعصية، وارتكاب الخطيئة ...

عندئذ اسْتَطارَ غضبها،وهاجت وأزْبَدَتْ كالوحش الضاري[1] فَهَمَّتْ أن تبطش بيوسف وتلحق به الأذى، حفاظاً على جَبروتِها وعُنفوانِها .

فَهَمَّ يوسف أن يقابل الشر بالشر، لكنه أحس بإشراق النُبُوَّةِ في نفسه، ورأى برهان الله في قلبه، فاستجاب لوحيِ ربِّه، فأسرع يوسف إلى الباب يريد الهرب والإفلات من يديها، فأسرعت وراءه مُهَرْوِلَةً محاولةً منع يوسف من الخروج، فجذبت قميصه فتمزق، وفي تلك اللحظات حضر الزوج الوزير فرأى مارأى من اضطراب وضجة، فبَادَرَتْه زوجته مسرعة باتهام «يوسف» بمحاولة الاعتداء عليها... فحرضت زوجها عليه واستغلت هذه الفرصة العصيبة للانتقام من «يوسف» ظلماً وبهتاناً .

---

(١) الضاري : الشرس المتوحش .

لكن يوسف تمالك نفسه، وتوقف أمام الوزير، فدفع التهمة عن نفسه، وقال له :

إنها هي التي أغرته وحاولت خيانة زوجها، إلا أنه امتنع وحاول الهرب والفرار. وفيما هما يتجادلان، حضر قريب للزوجة، فاستشاره الوزير وطلب إليه أن يتكلم بصدق عن كل مايعرفه وعن كل ماشاهده وسمعه بالنسبة لهذه القصة... فحكم القريب قائلاً :

إن كان قميصه قد شق من الأمام فقد صدقتْ الزوجة في ادعائها، لأن هذا يعني أن «يوسف» كان يندفع تجاهها... أما إذا كان القميص قد شق من الخلف فمعنى ذلك أنه كان يحاول الفرار منها ...

فلما رأى الوزير أن القميص قد شق من الخلف أدرك كذب زوجته وصدق يوسف .

فلنقرأ هذه الآيات ولنتمعن في معانيها . قال الله في كتابه العزيز :

(وراوَدَتْهُ[1] التي هُوَ في بيتِهَا عَن نفْسِهِ، وغَلَّقَتِ الأبوابَ وقالَتْ هَيْتَ لَكَ، قالَ: مَعَاذَ اللهِ إنَّـهُ رَبِّي أحسَنَ مَثْوايَ إنَّه لايُفْلِحُ الظَّالِمون * ولقد هَمَّتْ بهِ وهَـمَّ بِهَـا لـولا أن رَأى بُرهَـانَ رَبِّـهِ، كـذلكَ لِنَصرِفَ عنـهُ السُّوءَ والفَحْشَاءَ إنَّهُ من عِبادِنَا المُخْلَصِين * واستَبَقَا البـابَ وقَـدَّتْ قميصَهُ من دُبُرٍ وألفَيَا سيِّدَها لدى البـابِ.

قالتْ: ما جَـزاءُ مـن أرادَ بـأهْلِكَ سُوءاً إلاّ أن يُسْجَـنَ أو عذابٌ ألِيْمٌ *

قالَ: هي رَاوَدَتْنِي عن نَفْسِي، وشَهِـدَ شاهـدٌ مـن أهلِهَـا، إن كانَ قميصُهُ قُدَّ من قُبُلٍ فصدَقَتْ وهُو من الكَاذِبيـن* وإن كَانَ قميصُهُ قُدَّ من دُبُرٍ فكذَبَتْ وهو من الصَّادِقِيـن*

فَلمَّا رَأى قميصَهُ قُدَّ من دُبُر قـالَ: إنَّـهُ مـن كَيْدِكُـنَّ، إنَّ كَيْدَكُنَّ عظيمٌ * يوسفُ أعْرِضْ عَن هذا واسْتَغْفِري لِذَنْبَكِ إنَّكِ كُنتِ من الخَاطِئيـن*)

(١) سورة يوسف ـ الآيات من (٢٣) حتى (٢٩) .

انتشار قصة يوسف بين النساء

كان من الطبيعي أن تنتشر قصة يوسف وغواية[1] امرأة العزيز له، بين الناس بالرغم من محاولات الصمت وإخفاء الأمر، فأخذت النساء في المدينة يتناقلنَ في المجتمعات والمنتديات والمجالس، هذه القصة... فوصل إلى سمع امرأة الوزير، مايدور ومايحكى عنها، وكيف أن الناس عامة والنسوة خاصة، يلومونها، على مسلكها الشائِن، فقررت أن تريهنَّ «يوسف» حتى يعْذُرْنَها.

فدعتهنَّ في يوم من أيامها المشرقة إلى وليمة فاخرة في قصرها المنيف[2] وأجلستهنَّ على أثاثها الوثير[3]، فصفقت امرأة الوزير بيديها لإدخال «يوسف» فلما شاهدت النساء «يوسف» أبلج الغرة، وضيءَ الطلعةِ، حلوَ الملامح، رائعَ القَسَماتِ... عزيزالنفس، أصيل المنبت... أصبنَ بالذهول والانبهار... فقلن: حاش لله وتبارك الله في خلقه:

(ماهذا بشراً إنْ هـذا إلا مَلَكٌ كريـم)[١]

ولما أيقنت امرأة العزيز، أن المدعوات شارَكْنها في إعجابها بيوسف، شعرت بالزهو والتكبر والغطرسة... مما حدا بها[٢] إلى البوح[٣] بمكنونات[٤] نفسها قائلة:

— هذا هو الفتى الذي عاتبتنَّني في حبه...

— هذا هو الفتى الذي حاولت إغراءه فامتنع، وأقسمُ لكُنَّ إن لم يفعل ماآمره ليعاقبنَّ بالسجن ليكون من الأذلاء المهينين .

ولكن يوسف أمام هذا الوعيد والتهديد لم يلنْ، ولم يعطِ أذناً صاغية لهذه التهديدات، فتوجه إلى الله وتضرع إليه، أن يصرف عنه هذه المحنة، ويُبْعِدَ عنه كيد النساء وقال: رب إن السجن على ظلامه أسهل على نفسي وأميل إلى قلبي من هؤلاء النسوة .

---

(١) سورة يوسف : الآية ٣١ .

(٢) حدا بها : دفع بها .

(٣) البوح : الكشف .

(٤) مكنون : مخفي .

قال الله تعالى[1] :

(وقالَ نِسوةٌ في المدينةِ امرأةُ العزيزِ تُرَاوِدُ فَتَاها عن نفسِهِ، قد شغَفَها حُبًّا، إنَّا لَنَرَاها في ضلالٍ مُبينٍ * فلما سمعتْ بمَكْرِهِنَّ أرسلَتْ إليهِنَّ وأعتَدَتْ[2] لهُنَّ مُتَّكئاً وآتتْ كلَّ واحدةٍ منهُنَّ سكيناً، وقالتِ: اخرُجْ عليهِنَّ، فلمَّا رأيْنهُ أكْبَرْنهُ وقطَّعْنَ أيديَهُنَّ وقُلْنَ: حاشَ للهِ ماهذا بشراً، إنْ هذا إلا مَلَكٌ كريم *)

(قالَ ربِّ ، السجنُ أحبُّ إليَّ مما يدعُونَني إليهِ، وإلاّ تصرفْ عنِّي كيدَهُنَّ أصْبُ إليهِنَّ، وأكنْ من الجَاهِلين* فاستجابَ لهُ ربُّهُ فصرَفَ عنهُ كيْدَهُنَّ، إنه هوَ السميعُ العليمُ *)

وهكذا كانت تلك المحن التي تعرض لها «يوسف» والمكائد التي نصبت له والأقاويل التي نُسجت حوله... خرج منها عفيف النفس، طاهر الذيل، نقي السمعة، شريفاً، عزيزاً، مُكرماً .

(١) سورة يوسف - الآيات (٣٠ - ٣١) - (٣٣ - ٣٤) .

(٢) اعتدت : هيأتْ .


رَفعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



من قصص القرآن

من قصص القرآن رحلة في عالم الأدب الجذاب ..

تتعانق فيها الفكرة بالخيال، وتنبض بالحيوية والحياة في إطار فني يموج بالحركة وصدق التعبير.

وتعتبر المجموعة بحق شمساً من الهدى والإيمان وحريٌّ بكل فتى وفتاة أن يتفيأ ظلال هذه الشمس وأن يُضيف هذه المجموعة القصصية إلى مكتبة الأسرة، لأن فيها من الحكمة الرائعة والمغزى الجميل، والفائدة المرتجاة، ما يجعلها ثروةً فنيّةً قيّمة.

